سيميائية العتبات النصية في ديوان "العاشق الكبير" لصلاح الدين باوية

The semiotics of textual thresholds in the cllection of "Al-aacheek Alkabeer" by Salah al-Din Bawiya

بوغرارة اميرة [1]*

1 جامعة محمّد الصديق بن يحي. جيجل (الجزائر)

الملخص:

يندرج هذا البحث ضمن مقاربة سيميائية للعتبات النصية للمجموعة الشعرية "العاشق الكبير"للشاعر صلاح الدين باوية, الهدف منها التعرف على كتابات الشاعر الجزائري صلاح الدين باوية من خلال ديوانه "العاشق الكبير" ودور هاته العتبات النصية ومدى تأثيرها على المتلقي واندماجه معها، انطلاقا من العنوان والغلاف والرسومات والألوان... وقدرتها على التأثير على القارئ وشد انتباهه ومساعدته في تلقيهاته الأجناس الأدبية واستيعابها.

لا شك أن "صلاح الدين باوية" كان له بصمة خاصة في مجال الشعر، فقد سعى جاهدا لتقديم مجموعة شعرية مميزة، فكان حريصا في اختيار عتبات نصية تشجع القارئ على الغوص فيها.

الكلمات المفتاحية : العتبات النصية، صلاح الدين باوية، العاشق الكبير، الشعر الجزائري المعاصر .

Abstract

This research falls within a semiotic approach to the textual thresholds of the poetic group Al-acheek Al-kabeer by the poet SalahuddinBawiya, aimed at identifying the writings of the Algerian poet SalahuddinBawiya through his "Al-acheek Al-kabeer " office and the role of these text thresholds and the extent of their impact on the recipient and his integration with them, based on the title The cover, graphics, colors ... and their ability to influence the reader, tighten his attention and help him receive and absorb these literary races.

So we arrived through our research paper that 'SalahuddinBawiya' had a special imprint in the field of poetry, and he sought hard to present a distinctive poetry collection, so he was keen to choose text thresholds that encourage the reader to dive into them and stimulate his senses to see the poetic texts presented to him .

***Key Words*:** textual thresholds, SalahuddinBawiya, Al-acheek Al-kabeer,Contemporary Algerian poetry .

* اميرة بوغرارة.

مقدّمة

يندرج هذا البحث ضمن مقاربة سيميائية للعتبات النصية للمجموعة الشعرية "العاشق الكبير"للشاعر صلاح الدين باوية, الهدف منها التعرف على كتابات الشاعر الجزائري صلاح الدين باوية من خلال ديوانه "العاشق الكبير" ودور هاته العتبات النصية، ومدى تأثيرها على المتلقي واندماجه معها، انطلاقا من العنوان والغلاف والرسومات والألوان... وقدرتها على التأثير على القارئ وشد انتباهه ومساعدته في تلقيهاته الأجناس الأدبية واستيعابها.

فوصلنا من خلال ورقتنا البحثية أن "صلاح الدين باوية" كان له بصمة خاصة في مجال الشعر, وسعى جاهدا لتقديم مجموعة شعرية مميزة، فكان حريصا في اختيار عتبات نصية تشجع القارئ على الغوص فيها وتحفز حواسه على الاطلاع على النصوص الشعرية المقدم له، وتساهم في استفزازه للميل للمطالعة من خلال العناوين والرسومات التي تضمنها الديوان.

1 أولا: العتبات النصية:

العتبات مجال يهتم بكل ما يحيط بالنص من الداخل والخارج, وهو أحد الدراسات الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين على يد الناقد جيرار جينيت, ويعد كتابه ""عتبات" محطة رئيسية لكل عمل يسعى إلى فك شفرات خطاب عتبات النص. فقد ضم الكتاب بين دفتيه بحث كثير من أشكال هذه النصوص/ العتبات: بيانات النشر، العناوين، الإهداءات والتوقيعات والمقدمات والملاحظات... وغيرها. وتكمن أهميتها في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص"[1] وقد ضم الكتاب الحديث عن المناص بكل تفاصيله وعد أحد المتعاليات النصية التي يمكن مقاربتها سيميائيا أو شعريا نظرا لأهميتها وفتحها لآفاق كبيرة أمام القراءة لتأويلها. وقد أطلق عليه حميد لحميداني مصطلح "الحيز" فيعرفه في كتابه بنية النص السردي بقوله:" الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها, باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورقة ويشمل ذلك نظرية تصميم الغلاف، ووضع المطالع وتنظيم الفصول وتغييرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها"[2] فالنصوص الموازية للكتابة وما تشغله الكتابة في حد ذاتها، هي عتبات نصية محيطة بالنص ومفتاح لفهم محتواه. والعتبات النصية هي: "مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: حواش وهوامش وعناوين رئيسة وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة. وغيرها من بيانات النشر المعروفة التي تشكل في الوقت ذاته نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الذي يحيط به، بل إنه يلعب دورا هامة في نوعية القراءة وتوجيهها."[3] وهي عبارة عن نصوص موازية للنص الرئيس تفتح المجال أمام القارئ لفهم النص واستيعاب محتواه وتأويل عناصره.

1- عتبة المؤلف (اسم الكاتب):

تعد عتبة المؤلف أولى العتبات النصية ومن العناصر الهامة التي ينتبه لها أي قارئ في اطلاعه على نص ما، فاعتبر "اسم الكاتب من بين العناصر المناصية المهمة, فلا يمكننا تجاهله أو مجاوزته لأنه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر، فيه تثبت هوية الكتاب لصاحبه، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية على عمله، دون النظر للاسم إن كان حقيقيا أو مستعارا."[4] فالنص يكون يتيما دون حضور صاحبه، ولا يمكن أن يخلو أي عمل من اسم صاحبه. لأن له دور في التعريف بالنص واثبات هويته.

في ديوان "العاشق الكبير" ورد اسم المؤلف في الواجهة الأمامية في أعلى الغلاف فوق عنوان الديوان مباشرة، ووضع اسمه هنالك ليس اعتباطيا بل هي دلالة على أن الشاعر يريد أن يقول أن اسمه له من الأهمية ما لعنوان الديوان. وقد ورد قريبا من العنوان وملازما له لأن حب وتفاني صلاح الدين باوية في نظم الشعر وتقديمه جعل عدة مدونات له تحمل نفس هذه الصفة، وقد جاء اسم الشاعر أعلى الرسومات ليكون واضحا وبارزا بشكل جيد فقد جاءت الخلفية التي وراءه على شكل سماء يزينها القمر ومجموعة سحب متناثرة توسطها عنوان الديوان واسم المؤلف.

وجاء اسم الشاعر بشكل واضح وحجم كبير نسبيا لأنه أراد أن يثبت حضوره في الساحة الأدبية وفي مجال الشعر بشكل خاص,. وقد ورد اسم الكاتب أيضا بلون أحمر وهو دلالة على "المزاج القوي وبالشجاعة والثأر, وربما ارتبط كذلك بالافتنان والضغينة. وكثيرا ما يرمز إلى العاطفة... أما النوع اللامع منه فيشير عادة إلى الانبساطية والنشاط والطموح والعملية"[5] هذا الشجاعة والمزاج القوي والروح العالية تحضر في ذات الكاتب وتمثل شخصيته أم اختيار هذا اللون تحديدا فهو لتعلقه بالمشاعر والعواطف التي تحض قلبه أو تحضر قلب كل من يقرأ الديوان ويغوص بين قصائده.

2- عتبة العنوان:

يعد العنوان بطاقة تعريفية للنص، وهو من أهم النصوص الموازية التي حظيت بالاهتمام من طرف النقاد لأنه عتبة يستطيع القارئ من خلالها -في أغلب الأحيان- التعرف على محتوى النص، و"يشكل العنوان ثاني أهم عتبات النص بعد اسم المؤلف، وقد تزايد الاهتمام بدراسته وتحليله في الخطاب النقدي الحديث لكونه يمثل مكونا داخليا ذا قيمة دلالية عند الدارس، فهو سلطة النص وواجهته الإعلامية, كما أنه يمثل جزءا دالا من النص يؤشر على معنى ما."[6] فأول ما تقع عليه عين القارئ هو عنوان النص فمن خلاله تتحدد هوية النص ومدلوله لأن له علاقة وطيدة بمضمون النص فلا يوضع اعتباطيا لأن سوء تأويل القارئ قد يبعده أحيانا عما ذكر في المتن.

في ديوان "العاشق الكبير" تموضع العنوان بعد اسم المؤلف بخط كبير واضح، يوحي بأهمية عتبة العنوان، وحينما نقرأ العنوان مباشرة يثير العنوان في ذهننا تساؤلات من هو هذا العاشق؟ أهو الشاعر صلاح الدين باوية؟ أم هو ذلك العاشق الذي يحضر في نفس أي منا؟ ولماذا اختار الكاتب اسما كهذا ليكون عنوانا لديوانه؟ لكن سرعان ما يتضح هذا الإبهام قليلا بالاطلاع على عناوين قضائد الشعرية الموجودة في الديوان، ثم يزداد الأمر وضوحا ما إن نقرأ مقدمة الطبعة التي يقول فيها: "وأنا في مجموعتي الشعرية الأولى هذه... لا أحاول أن لأقنع الناس بأنني عاشق فحسب, وإنما عاشق كبير...

عاشق للجمال بشتى أنواعه وأينما كان...

عاشق للحرية بمدلولها الواسع...

عاشق للأرض والوطن...

عاشق للمرأة التي تمثل في مفهومنا النماء والخصب والعطاء واستمرارية الحياة.

وفي كل مرحلة من مراحل العشق هذه، كان الصدق شاهد إثبات."[7] فمن خلال ما يرد في المقدمة نفهم أن الشاعر هو ذلك العاشق وأي عاشق، ذلك العاشق الكبير الذي اختار الكتابة والقلم ليعبر به عن مدى تفانيه وحبه لامرأة خصها بكل عبارات الحب والاعتذار والغزل والشكر...ووصفها بصاحبة الوجه الحزين وذات الجلباب الأحمر.

وقد وردت عتبة العنوان أعلى الغلاف بلون أحمر يتناسب مع العنوان ومع المجموعة الشعرية التي عبر فيها الشاعر عن عشقه وولعه بهاته المرأة التي تحضر خياله وتسكن قلبه، فاعتمد هذا الاسم عنوانا لديوانه لأنه يحمل وظيفة إغرائية تحفز القارئ ليتوغل في النص فيعرف من هو هذا العاشق وماهي قصته، وهذا هو دور العناوين والهدف منها "فالعنوان الذي لا يثير عند القارئ حالة من الدهشة والحيرة هو عنوان غير ذي بال"[8]. ولا يكتفي الكاتب بذكر العنوان في صفحة الغلاف بل يكرره في الصفحة الموالية لصفحة معلومات دور النشر فيجعل له صفحة كاملة ذكر فيها العنوان واسم الشاعر وكلمة شعر التي توضح أن هذه المدونة مجموعة شعرية.

وجاءت عتبة العنوان مكونة من لفظتين "العاشق" وهو شخصية وقعت في حب امرأة عبر لها عن ذلك بقصائد كثيرة وأكد أن هذا العشق كبير وصادق ولا متناهي بلفظة "الكبير".

3- عتبة الغلاف:

يعتبر الغلاف من أهم العتبات النصية, فهو الواجهة الأولى والمرآة العاكسة للنص، وقد أطلق عليه جينيت مصطلح "المناص الافتتاحي" ويقصد به: "كل الإنتاجات المناصية التي تعود مسؤوليتها للناشر المنخرط في صناعة الكتاب وطباعته, وهي أقل تحديدا عند "جينيت" إذ تتمثل في (الغلاف، الجلادة، كلمة الناشر، الإشهار، الحجم، السلسلة...)"[9] فالغلاف هو الواجهة التي تقدم النص للقارئ في حلة تحفزه لقراءته، وهذا عبر الألوان والرسومات التي تجذب انتباهه، كذلك النصوص الموازية الأخرى التي هي بمثابة واجهة تعريفية للنص. بهوية صاحب النص، وعتبة العنوان وما تشكله من علاقة وطيدة بين العنوان ومضمون النص، وصورة امرأة تجعلنا نفكر مباشرة بتلك المحبوبة فنتساءل أهي

جاءت واجهة غلاف ديوان "العاشق الكبير" الأمامية مكونة من عتبة اسم المؤلف وهذا للتعريف تلك المرأة التي حظيت بعاشق كبير لها, ودار النشر وهي "دار خيال" للنشر والتوزيع وقد ذكرها الشاعر في صفحة الغلاف دلالة على أهميتها وحضورها وفعاليتها. وقد اكتفى الشاعر بهذه العناصر فلم يذكر نصوص موازية أخرى كسنة الطبع وبلد النشر... لأن طبيعة العمل الأدبي الذي يقدمه مميز وخاص ثم أن غلاف المجموعة الشعرية شكل لنا لوحة فنية تبهر كل من يطلع عليها فلا يهمه ولا يكون لها انتباه لعتبات وعلامات أيقونية أخرى.

وقد وفق صلاح الدين باوية في اختيار ألوان منسجمة لغلافه وصورة لمنطقة شاسعة تمتد لتصل للأفق وامرأة تمشي في هذا الطريق وتحضر هنالك وهي محتارة لأي مكان تذهب هي في حيرة من أمرها لأن صورة المرأة والطبيعة التي رسمت في الغلاف توحي أن هاته المرأة عربية كأنها هربت من نصوص قديمة ثم أن الشاعر في قصيدته التي عنونها بـ "سأكتب عنك" قال فيها:

"برغم القبيلة والجاهلية

برغم طبائعنا البربرية

برغم عواطفنا الحجرية

سأكتب عنك...

قصائد عشق"[10] وهذا جعل ترابطا بين صفحة العلاف والقصائد الشعرية التي صرح فيها الشاعر أنه رغم كل ذلك سيحب تلك المرأة وسيثبت أنه حقا هو ذلك العاشق الكبير للحب والجمال والطبيعة وغيرها.

4- الرسومات والألوان:

أخذت الصورة جانبا كبيرا من اهتمام الدراسات المعاصرة فاجتهد الباحثون في دراستها سيميائيا على اعتبار أنها علامة قابلة للتأويل وتتعدد الدلالة. و"تعرف الصورة بأنها كل تقليد تمثيلي مجسد أو تعبير بصري معاد، وهي معطى حسي للعضو البصري...والرسالة البصرية مثل الكلمات، وكل الأشياء الأخرى لا يمكن أن تنفلت من تورطها في لعبة المعنى."[11] فهي علامة سيميائية قابلة للقراءة والتأويل، تحمل بمختلف ألوانها وأشكالها المعبرة حمولة كثيفة المضمون. فتأخذ ذهن القارئ للبيئة التي وقعت فيها القصة، وتسحبه نحو عالم خيالي فيتصور البيئة وطبيعة العيش في تلك الفترة. وهذا ما نجده في ديوان "العاشق الكبير": فرسمة الغلاف تأخذنا إلى قصص ألف ليلة وليلة وما تتميز به من تصميم وشكل الطبيعة هنالك وعوالمها الساحرة التي قرأنا كثيرا عنها، وكذلك تشبه البيئة العربية والصحاري التي كان يزينها شكل السماء والقمر ليلا فجاء في مقدمة الغلاف رسمة لشخصية امرأة من وحي خيال الشاعر هي تلك المرأة التي أحبها دون شروط أو حدود ثم أن البيئة التي صورها حولها دليل على أنها امرأة عربية عاشت بين الحقول يقول في ذلك:

"فمهما كتمنا هوانا

ستفشي هوانا الحقول

فمنا يفوح الربيع

وسحرا تبوح الفصول

وإن باعدتنا الليالي

وثار علينا المغول

غدا نلتقي يا حبيبي

وحتما تدق الطبول"[12]

وإن دل هذا على شيء فرغم البيئة اتي عاشت فيها هذه المعشوقة والظروف التي حولها إلا أن هذا لن يمنع الشاعر من حبها أو التعلق بها مهما كلفته الظروف. وفي الخلفية وجد منظر للسماء التي ظهرت واضحة تحت ضوء القمر الأحمر, وقد قصد الشاعر اظهار القمر بهذا الحجم وتصوير المدينة في الليل، لأنه جعل الكتبة وهذه الأشعار أنيسا له في عتمة الليل وبالتالي تتقاطع الصورة مع ألوان معبرة استعان بها الشاعر فغلب على غلافه اللون الأزرق الذي يرتبط "بالظلام

والليل يدل على الخمول والكسل والهدوء والراحة"[13] فكانت الصور التي استعان بها الشاعر "صلاح الدين باوية" علامة ذات مؤشرات معبرة وتحمل كثافة لغوية، ولها طابع مستفز يحفز على التساؤل واثارة الفضول.

وتلك الفتاة الشابة ذات الشعر البني التي لم يظهر وجهها كثيرا في الصورة لنرى إن كانت بقدر من الجمال حقا، أم هي امرأة غطت وجهها كأنها تحاول إخفاء ملامحها، فالشاعر يحاول إخفاء تلك الجميلة التي نظم حولها قصائده الشعرية لكن إجابة السؤال تتضح بمجرد الاطلاع على الديوان. ونلاحظ أن الشاعر يجتهد في جعل صورة الغلاف متناسبة مع المجموعة الشعرية. فيقول:

"إن كنت عشقت؟

ما اسم البنت؟

ليلى؟... أم هند الغجرية؟

لمياء؟...وداد؟... حورية؟

ما اسم البنت؟

من أي مكان أنت اخترت؟

ذات العينين العسلية؟"[14] فهاته المرأة مهما اختلفت جنسيتها أو المكان الذي جاءت منه فإن الشاعر أحبها وهي بدوره سكنت قلبه وحركت قلمه وأصبح بفضلها ذلك العاشق الكبير.

خاتمة:

- لكل نص خصوصية ينفرد بها فتميزه وتجعل له طابعا خاص يحفز المتلقي على قراءته وتأويله, وهذا ما دفع الأدباء للبحث عن أساليب فنية تميز أدبهم وتجعل له طابعا خاص, فانفرد صلاح الدين باوية في كتابته وسعى لتقديم نصوص شعرية مميزة تجذب القارئ لها.
- لم يكن الإبداع والفن حكرا على الرسامين فحسب, فالشاعر المبدع صلاح الدين باوية, اجتهد في تقديم نصص شعرية مميزة من كافة المعايير, وأولى أهمية كبيرة في انتقائه لعناوين وأغلفة وألوان ديوانه بما يتناسب مع مضمونه فكانت البساطة والوضوح معياران ميزا مؤلفه.

- استوحى الشاعر مضامين عدة قصائد له من البيئة العربية والصحراوية التي عاش فيها إلا أنه أيضا وظف ذلك بطريقة إبداعية عصرية أضفت شعرية على نصوصه.
- كانت العتبات النصية التي استعان بها الشاعر "صلاح الدين باوية" علامات ذات مؤشرات معبرة وتحمل كثافة لغوية, فساهمت في دفع القارئ ليكون لديه طابع مستفز يحفزه على التساؤل واثارة الفضول.

وجب تسليط الضوء على أعمال "صلاح الدين باوية" سواء الشعرية منها أو النقدية وتقديمها للقراء للاستفادة منها معرفيا وأيضا استغلالها بالقراءات النقدية لأن التجربة الشعرية والنقدية له بحاجة للاستثمار والاستفادة منها.

5 . الهوامش والإحالات:

[1]: عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص) ،تق: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص30 ، 31.

[2]: حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص55.

[3]: عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2008، ص16.

[4]: عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص)، ص63.

[5]: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997، ص184.

[6]: يوسف الإدريس، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص61.

[7]: صلاح الدين باوية، العاشق الكبير، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، ط2، 2021 ، ص7.

[8]: سهام السامرائي، العتبات النصية في رواية الأجيال العربية، دار غيداء، العراق، ط1، 2016، ص63.

[9]: عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص)، ص45.

[10]: صلاح الدين باوية، العاشق الكبير، ص9.

[11]: عبد الله ثاني قدور: سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب، دب، دط، دت، ص21، 22.

[12]: صلاح الدين باوية، العاشق الكبير، ص11.

[13]: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص183.

[14]: صلاح الدين باوية، العاشق الكبير، ص69.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- صلاح الدين باوية: العاشق الكبير، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، ط2، 2021.

المراجع:

1. أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997.
2. حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
3. سهام السامرائي، العتبات النصية في رواية الأجيال العربية، دار غيداء، العراق، ط1، 2016.
4. عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص) ،تق: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

5. عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، المغرب دط، 2008.

6. عبد الله ثاني قدور: سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب، دب، دط، دت.

7. يوسف الإدريس: عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2015.